

وليس ثمة حاجة الى تكرارها . غير ان ما ينبغي تأكيده هو سيطرة عبدالناصر على المسرح العربي طوال فترة وجوده في السلطة . وقد حقق عبدالناصر في أوائل حياته السياسية عددا من المآثر التي كسبت له الثناء والاتباع في جميع انحاء العالم العربي . فقد استطاع بأعماله وأقواله أن يسيطر على الجماهير في معظم العواصم العربية وبثي بلا منازع بين الزعماء العرب الآخرين في المواهب السياسية وسحر الزعامة . كما كان لنشاطاته وزن لا يستهان به بفضل وجوده على رأس القطر العربي الاكثر سكانا والاقوى . وبدا كأن الامور في العالم العربي في اواخر الخمسينات واولئ الستينات كانت تحدث ببادرة من عبدالناصر أو كردة فعل لبوادره .

لم تكن أهمية عبدالناصر كشخصية تاريخية تتبع من صفاته الشخصية وحدها . وبالأحرى كان تأثيره ينبثق عن قدرة على التعبير عن آمال وتطلعات نطاق واسع من المجتمع العربي . وجوهريا ، كان عبدالناصر يجسم للجماهير العربية قيادة ديناميكية ومجددة ، ومستعدة لتحدي الوضع القائم المقوت وتحويله . ولم تكن تبرز اصلاحاته الداخلية الا سياساته الخارجية ، التي رفعت كثيرا من اعتباره بين العرب غير المصريين . وكانت الاجراءات المسؤولة عن ارتفاع شعبية عبدالناصر ارتفاعا صاروخيا هي تأميم المؤسسات المالية والتجارية الاجنبية ، وتأميم قناة السويس ، والمعونة التي تقدمها للجزائريين في نضالهم ضد الاستعمار الفرنسي ، ورفض الاحلاف العسكرية التي يربعاها الغرب ، وصفقة الاسلحة مع الكتلة الشرقية التي أنهت الحظر الغربي على شحنات الاسلحة الى مصر ومناصرة القضية الفلسطينية . وصار ينظر اليه على انه الزعيم الذي استعاد للعرب كرامتهم وأعاد تأكيد الهوية القومية . وتطلع اليه القوميون على اختلاف ألوانهم بوصفه الرجل القادر على انهاء حالة الشقاق وتحقيق أهداف الوحدة العربية العامة .

تحقق أول اتحاد سياسي في تاريخ العرب الحديث في الاول من شباط (فبراير) عام ١٩٥٨ عندما أعلنت مصر وسوريا عن تأسيس الجمهورية العربية المتحدة . وتم تبني شكل حكم وحدوي له رئيس جمهورية واحد ومجلس امة واحد . وغمرت الجمهورية الجديدة سيادتي الوحدتين العضوين كليا . وكان الشعور هو ان الاتحاد قد جعل سوريا ما كان حالة شقاق شاذة . ولم يكن هذا ناشئا عن الهوية المشتركة للسكان فحسب ، بل عن الاستشرافات السياسية المماثلة التي تقاسموها ايضا . فالبيسان المصري — السوري المشترك (الاول من شباط — فبراير عام ١٩٥٨) يعلن : « خرجوا (اي الموفدون المصريون والسوريون) من هذا بالافتقاعات بأن العناصر المساعدة على نجاح اتحاد الجمهوريتين كانت وافرة ، ولا سيما بعدما جعل نضالهما المشترك — الذي كان قد قرب احدهما من الاخرى أكثر فأكثر — معنى القومية اوضح بكثير ، وأكد على انه كان حركة من أجل التحرر ورد الاعتبار » (٦) . وقد دعا السبيل الجديد الى الوحدة الذي أبرزه الاندماج المصري — السوري عام ١٩٥٨ الى توجهات عقائدية مشتركة بين المشاركين .

واستقبلت الوحدة المصرية — السورية بردود فعل مختلفة . فكانت تتمتع بشعبية غامرة على صعيد الجماهير لكن الطبقة المومرة والعناصر المحافظة مذهبيا عارضتها معارضة شديدة .

وكان أول تأثير للوحدة على السياسة العربية هو اخافة الانظمة المحافظة وتنبهها الى الاخطار التي تثيرها والازدياد السريع المفاجيء في المشاعر القومية . وشعر العراق والاردن ، ركنا الكتلة المحافظة في العالم العربي آنذاك ، بأن التطورات تهددهما بالخطر وسارعتا الى الاعلان عن تأليف اتحاد عربي بينهما . وعلى الرغم من هذا التحرك